مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــرام

التاريخ : ١٩٧٤/١/١٣

حتى لايقف «الفصل بين القوات» عقبة أمام خطوات الحل التالية

موضوع الفصل بين القوات هو الموضوع الذى راى فيه هنرى كيسنجر ما يبرر استعجال جولته الثالثة بعد حرب اكتوبر الى الشرق الاوسط ؛ باعتباره موضوعا يقتضى حلا عاجلا ، بعد ان قطعت المحادثات عند الكيلو ١٠١ بسبب التعثر فى التوصل الى اتفاق حوله ؛ وتتعدد الشواهد التى تؤكد ان استئناف المحادثات بشأنه فى مؤتمر جنيف لم تحقق حتى الان اى نتائج ملموسة . ويبدو وكانما كل بنيان « التسوية السياسية اللازمة » متعثر كل التعثر .

ولمصر بالقطع مصلحة فى تخطى التعثر الراهن ، لا لانها تريد الفصل بين القوات كهدف فى ذاته ، ولكن باعتبار أن انجاز هذه الخطوة هو خطوة أولى فى طريق تنفيذ قرارات مجلس الامن ، القرارات التى اصدرها المجلس بعد حرب اكتوبر بالذات ، وانه المدخل الى تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ المتضمن انسحاب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة . فضلا عن ان الفصل بين القوات يتضمن الخطوة الاولى منذ عدوان ١٩٦٧ فى انسحاب اسرائيل بغير طريق القوة العسكرية مباشرة ، من مواقع احتلتها بالقوة العسكرية .

غير أن المصلحة فى تنفيذ الفصل بين القوات ليست مصلحة مصر وحدها .. قد لا تريد اسرائيل فصلا بين القوات ينتهى بالعودة الى « خطوط ٢٢ أكتوبر » وهى خطوط ان زعمت اسرائيل أنها لا تعرفها ، فان الولايات المتحدة لا تستطيع زعم ذلك ، لانها لا تستطيع — على سبيل المثال — أن تنكر أنها أطلقت قمرا صناعيا للتجسس من طراز « ساموس » فوق المسرح المتوقع للعمليات فى الشرق الاسط قبل بدء حرب أكتوبر بأيام ثلاثة فقط ، ولانها لا تستطيع ادعاء أن الاقمار الصناعية غير قادرة فى كل لحظة على رسم خريطة مفصلة لمواقع الاطراف المتحاربة .

قد لا تريد اسرائيل فصلا بين القوات بالعودة الى خطوط ٢٢ اكتوبر التى تعرفها أمريكا على وجه اليقين . ذلك أن الفصل بين القوات على هذا النحو يضعف بصورة نوعية مواقعها على الضفة الغربية للقناة ، ويعرضها لحصار محكم ، بل ويلغى مبرر بقاء هذه القوات على الضفة الغربية أصلا — ومن هنا ليس أمام اسرائيل سوى أن تحتفظ بمواقعها الراهنة ، أو أن تجرى الفصل بين القوات على نحو ينطوى على انسحاب أوسع ، بالارتداد الى مواقع على الضفة الشرقية للقناة تبعد مسافة زادت أو قلت من الممر المائى .

ومن المحقق أن بقاء اسرائيل على الضفة الغربية للقناة ، دون فصل بين القوات ، يعرضها لاستنزاف مرهق ويلزمها بالاحتفاظ باحتياطيها فى حالة تأهب ، ويحمل اقتصادها ضغوطا يتعذر عليها احتمالها الى غير اجل . وليس هذا مما يتناسب مع الحالة النفسية السائدة فى اسرائيل بعد حرب اكتوبر.

لذلك كانت هناك مصلحة لاسرائيل فى انجاز الفصل بين القوات بانسحابها الى مسافة زادت او قلت من القناة شرقا. يضاف الى ذلك أن الفصل بين القوات على هذا النحو يلغى احتمال تجدد القتال بوجود قوات دولية على امتداد المنطقة الفاصلة بينها . ويثير فضية اعادة فتح القناة . ويجعل من الصعب استمرار شهر سلاح البترول كعنصر يضغط بلا تردد فى وقت يبدو فيه ان خطوة عملية اولى قد انجزت على طريق التسوية .

لاسرائيل اذن مصلحة فى انجاز الفصل بين القوات كهدف فى ذاته ، مع محاولة تجريد هذه الخطوة من صفتها كخطوة اولى فى طريق الحل الشامل ، وكمجرد تجسيم لحل جزئى ، بأمل تجريد مصر من حججها فى عدم اعادة فتح القناة . وبهدف أن ينزع هذا الحل الجزئى عوامل الضغط على المجتمع الدولى التى تحثه على التمسك بحل شامل ، حسب ما ورد فى قرارات مجلس الامن . ومن هنا لا يتصور ان تكون مصر متلهفة على « الفصل بين القوات » باية شروط ، أو بدون شروط ، ذلك أن الوضع المتداخل الراهن للقوات ، مع تصاعد الاشتباكات ، ليس اكثر سوءا لمصر منه لاسرائيل ، ومصرلن تقدم على « الفصل بين القوات » دون أن تصحبه ضمانات أكيدة بآجال محددة تربط هذه الخطوة ربطا عضويا بخطوات التسوية التالية .

حسابات كيسنجر الخاصة

الا أن السؤال الهام فى هذا الصدد هو : ما هو موقف هنرى كسنجر .. وما هو موقف الدبلوماسية الامريكية من احتمال توقف الامور عند « الفصل

بين القوات » ؟ وهو احتمال لا يملك احد — بما فى ذلك كيسنجر نفسه — انكار انه وارد بديلا عن « التداخل الراهن للقوات » .

● صحيح ان كيسنجر ملتزم بكلمته الى اكثر من طرف عربى بأنه لن يدخر جهدا للتوصل الى سلام عادل ودائم فى المنطقة . وكيسنجر لا شك حريص على الا تنكث كلمته على نحو ينال من سمعته الدولية ورصيده السابق فى حل الازمات المستعصية التى اخذ على عاتقه التصدى لها .

● صحيح ايضا ان توقف الامور عند حل جزئى على ضفاف القناة ، لا يقدم حلا لمشكلة القدس ، التى يصر عليها العالم العربى ، والعالم الاسلامى والعالم المسيحى .

كذلك فان الحل الجزئى لا يقدم الحل لقضية فلسطين — جذر النزاع أصلا — وبالقدر الذى سوف يثبت فيه أن التسوية العادلة للنزاع متعثرة بالطرق السياسية فان البديل — وهو الحرب التحريرية الى نهاية المطاف — يستعيد ما يبرره تماما . ومعنى ذلك فى نظر المقاومة الفلسطينية مواصلة عملياتها وزيادة تكثيفها على نحو لا يقتصر على الحاق الضرر بكيان اسرائيل فقط ، بل ينال من صميم مصالح أمريكا — سند اسرائيل — على اتساع الارض العربية كذلك .

كما أن سوريا — كما تعلم اسرائيل وأمريكا — تحتفظ بالقدرة التى أثبتتها فى حرب أكتوبر على توجيه ضربات موجعة ، لا فى الجولان فحسب ، بل بما ينال من قلب أرض اسرائيل ذاتها . ومعنى ذلك — على اتساع المنطقة ككل — ان اسباب التوتر لن تكون قد وجدت حلا ، واحتمالات نشوب حرب أخرى واردة فى فترة من الزمان لن تصل هذه المرة الى ٦ سنوات ، وقد ذاق العالم طعم استخدام سلاح البترول وهو كفيل فى جولة قريبة أخرى بالحاق أضرار اكبر باقتصاديات العالم الغربى بغض النظر عن صفة المزايدة التى اكتسبتها المضاربات على أسعار البترول الان .

ولكن ..

هل يملك كيسنجر ضمان كلمته بأن الفصل بين القوات لن ينتهى بتحقيق أهداف اسرائيل منه فقط ؟ هل يملك الزام الحكومة الاسرائيلية بأكثر من ذلك؟

قد يكون كيسنجر قد ضمن لنفسه البقاء فى منصبه الحالى ، حتى مع افتراض ابعاد نيكسون من كرسى الرياسة نتيجة فضيحة ووترجيت ، وأن دبلوماسيته بالتالى تحتفظ بعوامل الثبات . ومع افتراض ان الدبلوماسية الامريكية قد عقدت العزم بالفعل على الوصول الى تسوية كاملة ، وهذه مسألة ما زالت يعوزها البرهان .. هل سيكون فى مقدرة السلطة التنفيذية الامريكية التى تعرض مركزها لتدهور شديد ، ان تفى بكلمتها [وهذه مسألة من المهم ألا يحيط بها أى غموض] فى وجه ضغوط الكونجرس وحملات الصحافة التى تتوطن فيهما مجموعات قوية موالية لاسرائيل ، فى وقت ما زالت الحكومة الاسرائيلية تتشبث فيه بتصورات الحل بعيدة كل البعد عن مقررات بنود قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . وتعمل بكل ما تملك من قوة لتجميد الموقف عند نقطة تربحها مما تتحمله من استنزاف فى الوقت الراهن .

هذا عن اسرائيل .. أما عن أمريكا، وهذا بالغ الاهمية فى وقت يزور فيه كيسنجر المنطقة ، فجدير بنا ان نطـــرح أيضا بعض التساؤلات :

□ كان كيسنجر قد تصور عام ١٩٧٣ على أن يكون « عام أوروبا » ، أى العام الذى يجرى فيه تحديدالخطوط الاساسية لقضية « الامن الاوروبى » . ولم يكن عام ١٩٧٣ « عام أوروبا » ، بل كان « عام الشرق الاوسط » . وزادت علاقات أمريكا بأوروبا الغربية تدهورا فى عام ١٩٧٣ . وهنـا نسـأل : هل يرى كيسنجر أن مصلحة أمريكا تقضى بالاسراع بايجاد حل لازمة الشرق الاوسط على نحو تفرغ بعده كل الاطـراف للالتفات الى قضايا أوروبا .. أم يرى كيسنجر أن مصلحة أمريكا تقضى ببقاء أزمة الشرق الاوسط دون حل عاجل ، حتى تكون مضاعفاتها الدولية ـ واقصد بالذات استخدام سلاح البترول ـ عنصرا للضغط على أوروبا ، وتطويعها من جديد للسيطرة الامريكية ، ذلك أن الحد من الضخ ورفع الاسعار ، وحظر تصدير البترول الى دول أوروبية بالذات ، كلها عوامل قد أضرت بالتضامن الاوروبى وباقتصاديات أوروبا الغربيـة ، اكثر مما حملت الاقتصاد الامريكى أضرارا فى الوقت الراهن .

□ هناك أسباب جدية تدعو الى الاعتقـاد بأن منطقة الخليج ، التى يبطن أرضها أكبر مستودع للبترول فى العالم تعتمد عليه الدول الغربيـة المتطورة جميعها لتلبية حاجاتهـا الى الطاقة ، هى المنطقة التى يتوقع أن يتركز حولها اهتمام القوى العظمى كلها مع زيادةاحتدام أزمة الطاقة فىالسنوات المعدودة القادمة . وقد يتيح منـاخ الانفراج الدولى فرصة تجنب أن يصل تضارب المصالح فى هذه المنطقة الى حد أزمة دولية تهدد السلام ، ولكن ليس من المحتم أن تكون الدبلوماسية الامريكية قد قررت أن أفضل فرص ترجيح مصالحها فى هذه المنطقة يستوجب التعجيل بايجاد تسوية لازمة الشرق الاوسط .

ولا يستطيع كيسـنجر أن ينـكر أن حساباته فى مواجهة أية أزمة اقليمية لا يجريها بمعزل عن الازمات الاخرى : القائمة أو الكامنة ، التى نمس بصورة أو أخرى مصالح امريكا . وأوروبا من ناحية ، والخليج من ناحية أخرى ، منطقتان تحيطان بالشرق الاوسط .

هذه أسئلة تنتظر ردودا لتفهم أهداف الدبلوماسية الامريكية حول ما ينبغى أن ينتظر من « الفصل بين القوات » ، المسألة التى تتعثر حولها الان كـل الجهود من أجل التسوية بغض النظر حتى عن أهداف اسرائيل فى هـذا الصدد ، ومدى قدرتها على التـأثير على السياسة الامريكية . ■

محمد سيد أحمد